المجلد: 17 العدد: 02/ مارس 2022
ص: 266 - 280
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

سيميا العلامة وأسرار الخطاب في قصيدة "السُّوس" لـ "عبد العزيز الحاجي"

THE SEMIOLOGY OF THE SIGN AND THE SECRETS OF THE DISCOURSE IN THE POEM "AL-SOUS" (LICORICEL) BY : "ABDUL AZIZ AL-HAJJI"

محمد عروس *
جامعة العربي التبسي، تبسة (الجزائر)
arousmohammed@univ-tebessa.dz

تاريخ الإرسال: 2021/12/22 تاريخ القبول:2022/01/31 تاريخ النشر: 2022/03/28

ملخص: تبحث السيمياء في العلامة وطرق إنتاجها وتَلَقِّيها، والنَّصُّ الشعري من أهم النصوص الغنية بالعلامات الممتلئة دلاليا، لِمَا يُوجَد فيه من غموض، وما يحْتَمِلُه من تأويل. ولذلك تهدف هذه الدراسة إلى البحث في أسرار العلامة في الخطاب الشعري وكيفية تَشَكُّلِها وتأويلها من خلال مسار السيميوز، وسَتَتَّخِذُ من منظور "**شارل ساندرس بورس**" في التصور الثلاثي للعلامة: الماثول، و المؤول، والموضوع ، ومن ثلاثية: الأيقونة، والمؤشر، والرمز مفاتيح للقراءة.

وتتمثل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في أن السيمياء لها من الآليات القرائية، والمداخل الإجرائية، ما يسمح بمقاربة النص الشعري، واكتشاف أسرار العلامات المبثوثة فيه. وأن قصيدة "السُّوس" لـ "عبد العزيز الحجي" تُصَوِّرُ العلاقة الجدلية بين الحياة والموت في الوجود الإنساني، وأن السُّوس يحمل من التعدد الدلالي ما يفتح النص على آفاق متعددة للتأويل.

الكلمات المفتاحية: سيمياء العلامة؛ السيميوز؛ الخطاب الشعري؛ السُّوس؛ البنية السطحية؛ البنية العميقة، عبد العزيز الحاجي.

ABSTRACT : Semiotics studies the sign and the ways of producing and receiving it. However, the poetic text is one of the most important texts rich in signs with many connotations because of its ambiguity and open interpretations. Therefore, this study aims to investigate the secrets of the sign in the poetic discourse and how it is formed and interpreted through the Semiosis. Consequently, it will be studied from the perspective of "Charles Sanders Peirce " who classified sign into three aspects, i) sign, or ground, ii) object, or referent, and iii) interpretant.

The most important findings of the study are that semiotics have reading mechanisms and procedural approaches, which allows to approach the poetic text, and discover the secrets of the signs in it. The poem “Al-Sous” (licorice) by “Abdul-Aziz Al-Hajji” depicts the dialectical relationship between life and death in human existence, and that the “Souss” (licorice)carries a semantic plurality, which opens the text to multiple interpretation.

Key words: semiology of the Sign; Semiosis; poetic discourse; Al-Sous (licorice); surface structure; the deep structure, Abdul Aziz Al-Hajji.

1. مقدمة:

إن الدارس لحضور التفكير الفلسفي حول العلامة في الفكر الإنساني بشقيه الغربي والعربي، يجد كتب الأقدمين قد حفلت « بإشارات تخص العلامة ومكوناتها وطرق إنتاجها وتلقيها في محاولة لفهم أسرار الدلالات التي ينتجها الإنسان في تفاعله مع محيطه »[1]. ذلك أن محاولة امتلاك الإنسان لمحيطه الطبيعي وغير الطبيعي وتفاعله معه جعله يحول كل ما في هذا المحيط إلى علامات تمكنه من التعرف عليه من جهة والتواصل بين المجموعة الإنسانية وتحقيق التفاعل الحضاري بين مكونات الوجود من جهة ثانية، وبذلك

* المؤلف المرسل

تغدو العلامة مفتاحا لاكتشاف أسرار الوجود، ويصبح كل تفاعل حضاري مرهون بما يمتلكه الإنسان من مفاتيح للعلامات التي صنعها بنفسه أو التي وجدها في محيطه الطبيعي وألقى عليها بعدا ثقافيا نقلها إلى عالم الرمز أو اللغة بما منحه للعلامات من قيم، إذ الإنسان كائن ثقافي بطبيعته، ذلك أن« كل ما تضعه الثقافة بين أيدينا هو في الأصل والاشتغال علامات تخبر عن هذه الثقافة وتكشف عن هويتها»[2]. وبذلك فالأدب بما يحمله من علامات مكتنز بالأسرار التي تتطلب البحث والمكاشفة، إذ« تكمن أهمية السيمياء في ما يمكن أن تفتحه من سبل وآفاق جديدة تنير مجاهل التعبير الفني والأدبي»[3]، وعليه نتساءل: ما أسرار العلامة التي يحملها النص الشعري؟ وكيف يمكن مقاربته من منظور سيمائي؟

2. سيمياء العلامة وسيرورة إنتاج الدلالة.

1.2 سيمياء العلامة

يعرف **ش س بورس** العلامة بقوله: « شيء ما، يحل محل شيء ما، بالنسبة لشخص ما من زاوية ما. فهي توجه لشخص ما، أي أنها تخلق في ذهن هذا الشخص علامة معادلة أو علامة أكثر تطورا بدون شك. وهذه العلامة التي تخلقها أسميها مؤول العلامة الأولى، فهي علامة تحل محل شيء، أي تحل محل موضوع. وهي لا تحل محل هذا الموضوع بشكل مطلق، وإنما وفق فكرة أسميها في بعض الأحيان أساس الممثل»[4]، وبذلك فللعلامة عند **بورس** ثلاثة مكونات:

1- الماثول أو المصورة:

وهو الحامل المادي للعلامة، ولا وجود له إلا من خلال تحققه داخل موضوع بواسطة مؤول. كما أنه لا يكون لفظيا بالضرورة.

2- الموضوع أو المرجع:

ويعني ما يحيل الماثُول عليه، سواء كان واقعيا أم خياليا أم مجردا أم خرافيا. ويميز **بورس** بين نوعين من الموضوعات؛ الأول هو الموضوع الديناميكي وهو الموضوع الواقعي الذي لا يمكن للعلامة أن تعبر عنه بسبب طبيعة الأشياء، وتكتفي بالإشارة إليه تاركة أمر اكتشافه للمؤول عن طريق التجربة. أما الثاني فهو الموضوع المباشر، ويكون جزءا من أجزاء العلامة، وعنصرا من عناصرها[5].

3- المؤول أو المفسرة:

وهو ذو طابع وسائطي، يربط بين الموضوع والماثُول، وبناء عليه يكون تأويل العلامة. ويميز بورس بين ثلاثة أنواع من المؤولات:

أ/المؤول المباشر:

يرتبط بإدراك العلامة في حد ذاتها، ويتصل بمعطيات الموضوع المباشر، ودلالته لا تتجاوز حدود التجربة المباشرة التي يقتضيها الإدراك المشترك. ويتأسس على التعيين، فرؤية السائق للعلامة قف يعرف من خلالها ومن خلال معرفته ما هو مطلوب منه مباشرة ودون أن يدخل في التأويل.

ب/ المؤول الدينامي:

وهو الأثر الذي تحدثه العلامة في الذهن. ويتأسس على التأويل. فقراءة قصيدة شعرية تتأسس العلامات المبثوثة فيها على المخزون الثقافي لتأويل العلامات.

ج/ المؤول النهائي:

وهو ما يمثل التأويل المُحَيَّن الذي انتهى إليه القارئ أو متلقي العلامة داخل سيرورة معينة، أي داخل سلسلة من الإحالات[6].

وعليه « فالعلامة تعهد إلى مؤولها مهمة منحها جزءا من مدلولها»[7]، من خلال اتباع مسار تدليلي يعبر عنه بـ"السيميوز" أو السيرورة المتبعة لإنتاج الدلالة.

2.2 العلامة وسيرورة إنتاج الدلالة

تحيل الدلالة على مفهوم رئيس في تصور العلاقات بين الحدود المنتجة للقيم المضمونية وتداولها، ويتعلق الأمر بالسيرورة. فلا يمكن تَصَوُّرُ كَمٍّ معنوي خارج مسار سيرورة تتمحور حول مفهوم العلاقة باعتبارها الحد الأساس في إنتاج أي نشاط دلالي[8]. وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الدلالة مفهوم مركزي ينتظم حوله النشاط السيميائي في مجمله[9].

وحتى يتمكن المؤول من إنتاج الدلالة عليه إدراك السَّنَن المشترك بين أطراف الإنتاج والتلقي، وعليه فالسَّنن المشترك، « وهو مجموعة من القواعد التي تمكننا من إعطاء معنى للعلامة»[10]،

إن السَّنن يجعل العلامة تدخل ضمن سيرورة دلالية، فهو الذي يمنح العلامة قيمة تواصلية أو مفهومية، ويجعلها تدخل ضمن سيرورة دلالية[11].

ويعمل السَّنن على إرساء قاعدة تسمح بالفهم وتحقيق التواصل، وهذه القاعدة تستند إلى عرف، والطابع العرفي للتواصل هو الذي يجعل «الحدث المحسوس المرتبط بحالة وعي ينجز إراديا، وبغاية أن يعرف الشاهد مقصده »[12]. إذ توجد العديد من الأسباب تسمح بربط اللون الأحمر بالخطر والأخضر بالخلود، ذلك أن « الصيغ الخاصة بالرابط الدلالي هي في جميع الحالات عرفية »[13] ، إذ الإنسان هو الذي وضع هذه الروابط وتعارف عليها وأعطاها قيمة دلالية، مما يجعل نفس العلامة يمكن أن تحمل دلالتين مختلفتين حسب العرف، والمثال المشهور هو الأبيض دليلا على الفرح في بعض الثقافات وعلى الحزن في ثقافات أخرى. وهنا تثار الكثير من القضايا ذات علاقة بعرفية العلامة، من قبيل فكرة الاعتباطية وعلاقتها بالعرف، غير أن العلامة وإن كان أساس وجودها اعتباطيا في الغالب الأعم فإنه يتحول إلى عرفي مع مرور الزمن.

تشترط السيمياء أن يكون موضوع اشتغالها ذا سيرورة دلالية« فالموضوعات المعزولة، أي تلك الموجودة خارج نسيج السيميوز، لا يمكن أن تشكل منطلقا لفهم الذات الإنسانية، أو قول شيء عنها»[14]،

وعليه فإن « كل ما تضعه الثقافة بين أيدينا هو في الأصل والاشتغال علامات تخبر عن هذه الثقافة وتكشف عن هويتها»[15]. ويأتي القارئ أو المتلقي فيعطي العلامة الممتلئة دلاليا في الأصل ومن خلال مسار تدليلي قيمة خاصة محينة.

وعليه فـ« النصوص الأدبية والأعمال الفنية كلها علامات تقعيد، أي تحتاج إلى الكشف عن القواعد التي تحكم طريقها في إنتاج معانيها»[16]، ومن ذلك النص الشعري الذي يطبعه الغنى والتنوع بالعلامات الحاضرة رموزا وإشارات وأيقونات، والتي تتطلب الكشف والبحث في الأسرار المودعة فيها.

ذلك أن العلامة تأخذ قيمتها الدلالية باندماجها في مسار تدليلي؛ أي بعملية الاندلال حسب ما تذهب إليه "جوليا كريستيفا"[17]، ويتحقق المسار التدليلي من خلال حركة "السيميوز"، وهو مسار يتخذه المؤول ويتطلب نقطةَ انطلاق، وحركيةَ فواعل في النص، يجعل التأويل مختلفا، باختلاف مسارات السيميوز، بهدف« ربط النص بالذات، والتاريخ، والمجتمع»[18]، كما تقول "جوليا كريستيفا".

إن حركة السيميوز التي سيشتغل عليها المؤول، لا تتعلق باخيارات مرجعية فقط، بل بإرغامات علماتية، وليس فعلا عبثيا لا يستند إلى منظور تدليلي وتأويلي، « فالأمر يتعلق بتوجيه القراءة، والتوجيه من زاوية السيميوزيس هو بناء مسار تأويلي يقود إلى تحيين بعض عناصر الواقعة واستبعاد أخرى، والاستبعاد لا يعني الحذف بل يعني التخيير»[19]. ذلك أن التأويل « ليس فعلا مطلقا بل هو رسم لخارطة تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة وهي فرضيات تسقط انطلاقا من معطيات النص مسيرات تأويلية تطمئن إليها الذات المتلقية »[20]، ومنه فسيرورة إنتاج الدلالة وتداولها، مرهون بما تكتنزه العلامة من قيم لغوية أو سياقية أودعها المبدع نصه، وبما يمتلكه المتلقي من قدرة على التحكم في مسارات التأويل وتحيين القيم.

وسنتعرف على بعض القيم التدليلية في النص الشعري وذلك بتتبع مسار السيميوز وتفاعل العلامات في النص.

3. مسارات التشكيل والتأويل لقصيدة " السوس".

النص الشعري المعاصر نص غني بالقيم بالعلامات النصية التي تتطلب البحث والدراسة للاقتراب من المعنى والتعرف على أبعاده ودلالاته، ومن تلك النصوص قصيدة "السُّوس"[21] لـ"عبد العزيز الحاجي"، التي سنتخذها مدونة تطبيقية في هذه الدراسة. ذلك أن« النصوص الشعرية مصممة لكي تثير فينا القلق قبل كل شيء»[22]، وهو ما يغري بقراءتها ويفتح آفاق التأويل للعلامات النصية العديدة، والتي أحكم الشاعر بناءها.. ذلك « أن المعنى ليس كيانا جاهزا، إنه يخضع في وجوده وتحققه لمجموعة من الشروط حرصت السيميائيات على تحديد بعضها باعتبارها تشكل الروح التحليلية التي تتميز بها»[23]، ولذلك فالمعنى جزء من سيرورة تشكله، ولا يمكن تصوره خارج السيرورات التي تشتمل عليها الوقائع النصية. وأنه واقعة ثقافية؛ مثلما يحتاج بناؤه من طرف المنتج إلى حشد من المعارف والتصورات حول الوجود الإنساني والثقافي والحياتي، تحتاج إعادة إنتاجه إلى حشد متعدد المداخل الثقافية لإعادة إنتاجه، فمن المتحقق المحمل بالدلالات يتم إعادة البعث والاكتشاف، فالمعنى ليس جاهزا من خلال ما هو متحقق نصي بل مضمر وخفي.

وبذلك فالمعنى مرتبط بالأنساق التي ولدته، ومن خلال ذلك تكون فكرة العلائقية بين المكونات النصية أساسية في كل تصور سيميائي يريد إعادة اكتشاف خارطة النص وما يكتنزه من أسرار.

1.3 قصيدة "السوس": مسارات التشكيل والتكوين.

1 – التشكيل العلماتي للعنوان.

يمثل العنوان عتبة نصية مفتاحية في تشكيل النص وإعادة إنتاجه، وهو بمثابة جملة مضغوطة تتجمع فيها الخيوط الدلالية للنص، وقد يحمل من الغموض الدلالي ما يجعله بؤرة مركزية للنص، يمكن تتمدد على جسد النص ونحن نقاربه، ونعمل على فك شفراته، وبالنظر إلى العنوان الذي بين أيدينا "السُّوس" نجد أن العنوان يحيلنا على جملة من مقومات التشكل، يمكم بيانها في الآتي:

أ- التشكيل الصوتي

بالنظر إلى العنوان الظاهر والملفوظ صوتيا، نجد البنية التشكيلية الآتية:

التشكيل الصوتي	المميزات والخصائص التشكيلية
ا ل س س وس	الألف واللام للتعريف، أحرف زائدة في التشكيل الصوتي للكلمة.
س و س	حرفان مهموسان وحرف مد صوتي
س	حرف أساس في بناء الكلمة

إنها المفارقة الصوتية؛ إذ تكاد جملة "السُّوس" في بعدها الصوتي وكذا البصري أن تتكون من حرف مهموس واحد هو حرف السين حيث الهمس والتخفي شأن السوس تماما، خفاء في الحضور والفعل.

ب- التشكيل المعجمي

السُّوسُ العُثَّة التي تقع في الصوف والثياب والطعام .وهو الدود الذي يأْكل الحبَّ، واحدته سُوسة، حكاه سيبويه .وكل آكلِ شيء، فهو سُوسُه، دوداً كان أو غيره[24].

سَوِسَ، يَسْوَسُ، مصدر سَوَسٌ-: .سَوِسَ الفولُ: اِخْتَرَقَهُ السُّوسُ، أَيْ دَخَلَتْهُ دودَةٌ سَوْداءُ-: سَوِسَتِ الخَشَبَةُ :صارَتْ مَنْخورَةً بِالسُّوسِ .السوس: نَباتٌ مِنْ فَصيلَةِ القَرْنِيَّاتِ، عُشْبِيٌّ مُخْشَوْشَبٌ مُعَمِّرٌ، بَرِّيٌّ، لَوْنُ أَزْهارِهِ ضارِبٌ إلى الزُّرْقَةِ، جُذورُهُ طَويلَةٌ ... عودُهُ يُسَمَّى عودَ السُّوسِ، يُمْضَغُ، وَجُذورُهُ السُّكَّرِيَّةُ تُسْحَقُ، وَيُصْنَعُ مِنْها شَرابٌ مَعْروفٌ بِعِرْقِ السُّوسِ وتُسْتَعْمَلُ في الطِّيبِ.

وبذلك تتوزع الدلالة المعجمية للسوس في المعاني الآتية:

الكلمة	الدلالة المعجمية
	حشرة ضارة تنخر الأخشاب والحبوب والأسنان
	مهلك وضار

السوس	يشار به إلى كل ما يمثل خطرا
	يفعل فعله في غفلة دون أن يثير الانتباه
	الخفاء وعدم الظهور تارة، والظهور طورا
	دلالة المخالفة للمألوف عود السوس حلو

ت- التشكيل التركيبي

السوس، جملة عنوانية، يحمل بناؤها التركيبي جدل الحضور والغياب، الخفاء والظهور، إمكانية الدلالة المباشرة، أو غير المباشرة.

الجملة	التشكيل التركيبي
السوس	مبتدأ لخبر محذوف تقديره موجود، أو خطير،أو كل ما يمكن أن يحظر في ذهن المتلقي كأفق انتظار مبدئي.
	خبر لمبتدأ محذوف تقديره، هذا هو السوس
	تصبح الجملة فعلية ويكون السوس فاعلا لفعل محذوف من قبيل احذر السوس.
	أسلوب خبري في تقدير الجملة الاسمية، حيث يكون التصديق بالخبر أو التكذيب له، ومطلوب نتيجة ذلك التحري للوصول إلى نوع من الاختيار في تحديد الدلالة.
	أسلوب إنشائي عند حضور الأمر الافتراضي.
	تشكيل تركيبي يحمل دلالة الحقيقة أو المجاز.

ث- التشكيل العلاماتي.

يتهيكل نص"السوس" في تشكل علاماتي يسمح بتكوين أفق قرائي متعدد التأويلات، وبالنظر إلى ما تم بناؤه من تشكيل صوتي ومعجمي وتركيبي نجد أن هذا العنوان يحمل الحضور العلاماتي الآتي: بناء على الطرح البورسي للتصور الثلاثي للعلامة والذي يجعل العلامة في ظل ثنائية المصورة والمرجع تنشأ عنها التصورات الأيقونية والمؤشرية والرمزية للعلامة.

تَشَكُّل العلامة	طبيعة العلامة	العلاقة بين المصورة والمرجع	اشتغال العلامة
استعارة السوس إلى كل ما هو مشابه له في الحياة.	علامة أيقونية	علاقة التشابه بين المصورة الموضوع	علامات نوعية في تشكلها كأفكار قبل التحقق، ومتفردة عند تمثل الأشخاص لها، وعرفية عندما تصبح قانونا يحكم سلوكات الناس في التسلل إلى المحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي.
الكناية بالسوس على كل ما من شأنه أن يدل دلالة مباشرة على الإفساد، أو يكنى	علامة مؤشرية	علاقة المجاورة بين المصورة والموضوع	علامات نوعية في تشكلها كأفكار قبل التحقق، ومتفردة عند تمثل الأشخاص لها، وعرفية عندما تصبح قانونا يحكم سلوكات الناس في التسلل إلى المحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي.

به على الإفساد			
الرمز بالسوس إلى كل ما هو وصولي ومتسلل	علامة رمزية	علاقة الإيحاء بين المصورة والموضوع	علامات نوعية في تشكلها كأفكار قبل التحقق، ومتفردة عند تمثل الأشخاص لها، وعرفية عندما تصبح قانونا يحكم سلوكات الناس في التسلل إلى المحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي.

من خلالا المسارات التشكيلية للنص يتبين لنا الترابط العلاماتي الذي يتأسس عليه النص، والذي يقود إلى الامتلاء الدلالي، الذي يجعل النص مكتنزا بقيم إيحائية متعددة، تفتح العلامة النصية على فضاء تأويلي متعدد المداخل، بناء على المسار التدليلي الذي سيتخذ منه القارئ منطلقا للقراءة. وذلك ما يجعلنا لا نسلم بقراءة جاهزة لهذا "السُّوس"، هل هو السوس في بعده الأيقوني كاستعارة، أو مؤشر، أو رمز. أم هو السوس كقوى خفية تنخر الفرد والمجتمع أم هو الحشرات التي توقظ المضاجع في الليالي الطوال، أم هو أم هو ، أم هو؟؟؟. وذلك ما يجعلنا نحاول تمديد المجال الحيوي للعنوان ونحاول البحث في البعد الدينامي له في حركة ارتدادية بينه وبين النص.

2. **مسارات التكوين العلاماتي للنص.**

أ- **تقطيع النص:**

يمكن أن نؤسس التقسيم المقطعي للنص على العلاقة بين التصوير المشهدي والإيقاعي وما بينهما من تآلف علاماتي، وينتج عن ذلك ثلاثة مقاطع:

رقم المقطع	ألأسطر الشعرية المكونة للمقطع	المسار المشهدي والإيقاعي
الأول	شاب عمر الفتى.. وجليد الوقت أذن في الخلايا بالوهن!!!	المشهد الإخباري عن الوضع المأساوي القائم
الثاني	غير أن القلب مازال حفيا بخضير الروح في سوس البدن!!!	مشهد الاستدراك والأمل
الثالث	فلم الروح تخون القلب وتسجيه خرابا في كفن؟؟ !!	مشهد التساؤل والحيرة

يسمح تقطيع النص بالتعرف على حركية البناء والفاعل النصية، ومدى التآلف بين المشاهد المصورة والإيقاع المجسد للنص، وذلك ما يحدث شعرية بالغة التأثير في المتلقي.

ب- إيقاع النص

تتأسس العلامات الإيقاعية التي صنعت موسيقى النص على بنيتين:

- الإيقاع الخارجي: نجد أن كل مقطع ينتهي بوحدة إيقاعية تمثل مشهدا علاماتيا تصويريا، تتماثل مع الوحدة الإيقاعية التي يصنعها صوت النون: الوهن/ البدن/ كفن.
- الإيقاع الداخلي: يصنعه التركيب بالإضافة الذي يتسلل إلى نسيج النص من خلال الأسطر الشعرية:عمر الفتى، جليد الوقت، خضير الروح، سوس البدن.

ج- فضاء النص

مما يولد شعرية النص الشعري الفضاء وما يتفاعل في رحابه من شخصيات وعناصر مشهدية؛ الحدث، الزمان، المكان، وبناء درامي. وما الفضاء إلا زمان ومكان تتفاعل في رحابهما مكونات نصية مضفية عليه أبعادا إنسانية.

- **الفضاء الزماني**.

الزمن في القصيدة فضاء تجمدت أجزاؤه عند الفتى، حتى أصبح يشعر بالوهن. وتظهر علامة ذلك في عبارة "جليد الوقت" وما نتج عنه من أمارات دالة على الوهن؛ من الشيب الذي يعمل فعله في الزمن الإنساني، ويحول فضاء الحياة إلى النهاية في أزمنة البداية. ويمكن أن نتبين المسارات المختلفة لحركة السيميوز الزمني في الآتي:

- **الزمن الطبيعي**:

الشباب، القوة، الحياة. والمؤشرات النصية الدالة على ذلك، قول الشاعر: غير أن القلب ما زال حفيا بخضير الروح. إن الفتى في أمس الحاجة إلى الاحتفاء بالحياة وخضيرها ونضارتها، وهو المسار الطبيعي الذي تتمناه كل ذات إنسانية، ولكن:

ليس كل ما يتمناه المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

- الزمن النصي:

الشباب، الضعف، الموت، والمؤشرات النصية الدالة على ذلك: الرأس يشيب، والسوس ينخر، والجسد يسجى في الكفن.

- **الفضاء المكاني.**

يمكن أن نميز في النص فضاءين للوجود المكاني؛ فضاء الوجود الإنساني، وفضاء الوجود الغيبي.

- فضاء الوجود الإنساني: وهو فضاء يمكن أن نستدل على وجوده بالمؤشرات النصية الآتية: الوجود الحياتي، وهو الفضاء الذي يتحرك في رحابه الفتى، ويتقلب في جنباته ويفعل فعله في الإنسان، شيبا على الرأس، وسوسا ينخر القوى، وكفنا يسجي الجسد.

- فضاء الوجود الغيبي: وهو الفضاء الذي ينتقل إليه الجسد المسجى، وتستمد منه الروح عوامل القوة.

إن الفضاء الذي تتفاعل فيه المكونات النصية للقصيدة، فضاء الوجود الإنساني الذي جسد بمكوناته المادية والمعنوية الصراع الدامي بين الجسد المادي والروح الغيبية، الحياة وما فيها من تقلبات والغيب وما يضمره للإنسان.

وبذلك فإن ما يتشكل في النص من علامات تدل على الفضاء المكاني، على سبيل الإظهار أو الإضمار ، تبين مدى التفاعل بين الفضاءين حيث تتآكل على صخرة هذا الفضاء قوى الكون والطبيعة، بين وجودين؛ وجود مادي وآخر روحي، وجود حياتي يفعل فعله في الإنسان وهو يتقلب في الحياة، وآخر غيبي يتحول إليه الإنسان عندما تخون الروح الجسد.

ثالثا: مسارات تأويل النص

تسمح محاور التواتر في النص بإيجاد مسارب يتسلل من خلالها المؤول وهو يتتبع مسار السيميوز، ويمكن أن نتبين ذلك ونحن نقارب قصيدة السوس في المحاور الآتية:

3. **محاور التوتر النصي**

أ- **محور الثنائيات**

تتأسس هذه الثنائيات على مبدأ الإظهار والإضمار، أي أن المذكور دائما يحمل إشارة إلى المحذوف.

المقطع الشعري	الثنائية	طبيعة العلامة	التأويل
الأول	الفتوة/ الشيب	علامة أيقونية	تتأسس الحياة الإنسانية على الصراع بين الواقع الحياتي والإنسان، مما يجعله عرضة للتأثر بمجرياتها، وذلك ما يظهر أثره في الإنسان.
	جليد الوقت/ انسياب الوقت	علامة مؤشرية	
	القوة / الوهن	علامة رمزية	
الثاني	القلب/ الروح	علامة رمزية	يبدي الإنسان ممانعة للقوى التي تنخر وجوده، إذ يبقى الأمل في الحياة قائما مهما نخر الجسم من سوس.
	سوس البدن/ خضير الروح	علامة مؤشرية	
الثالث	الروح/ القلب	علامة رمزية	النهاية الحتمية للموجودات في الصراع الأبدي بين قوى الوجود المختلفة
	الكفن/ الحياة	علامة مؤشرية	

ترسم لنا بنية الحضور والغياب ثلاثة مسارات لمسار حركة **السيميوز**:

- مسار الصراع بين الذات الإنسانية وقوى الكون ومشاكل الحياة: وذلك ما يتبين في المؤشرات النصية الآتية: شاب، الفتى، جليد الوقت، الوهن.

- مسار الأمل: إنه الأمل في الحياة، والذي نستشفه من الرموز الدالة والمؤشرات النصية الآتية: القلب حفي بخضير الروح.

- مسار الحيرة: إنه الاستدراك التساؤلي: فلم الروح تخون القلب غَبًّا (أي في أمس الحاجة إليها)، وتسجيه خرابا في كفن.

إن التوتر الحاصل بين ثنائية الحياة والموت، خضير الروح وسوس البدن يجعل النص بنية دالة على طبيعة الحياة التي يعيشها الإنسان، وما فيها من تقلبات، تشيب الرأس، وتجعل السوس ينخر في الكيان.

ب- محور التشاكل.

التشاكل هو كل تكرار لوحدة لغوية مهما كانت كما يقول راستي[25]. وبالنظر إلى العلامات التي تصنع عوالم هذا النص نجد التشاكلات الآتية:

- التشاكل الصوتي بين نهاية المقاطع المشهدية التي تأسس عليها النص، والمنتهية بـ: الوهن، البدن، كفن. وهو تشاكل يظهر صوتيا في القافية التي تختتم بها المقاطع الشعرية. وهذا التجانس الإيقاعي يولد تأثيرا على المتلقي يجذب انتباهه ويثير ذائقته الفنية.

- التشاكل التركيبي: ويظهر في التركيب بالإضافة والذي طغى على بنية النص العلاماتية؛ عمر الفتى، جليد الوقت، خضير الروح، سوس البدن. وهي تراكيب تتأسس على المفارقة التعبيرية والتصويرية، وتولد الإيقاع الداخلي للنص.

ج- محور التباين.

يتمثل التباين في الاختلاف بين العناصر المكونة للنص، ويمكن أن نتبين ذلك في:

- التباين في الأساليب : الأسلوب الخبري في تباين مع الأسلوب الإنشائي، إذ الأول خبر يحتمل الصدق أو الكذب بينما الثاني لا يقبل ذلك.

شاب عمر الفتى...≠ فلم الروح تخون القلب...؟

- التباين بين ما هو حيوي وما هو معنوي

القلب ≠ الروح

- التباين في الألفاظ والتراكيب:

خضير الروح ≠ سوس البدن.

جسد + روح ≠ سوس + جسد.

حياة ≠ موت.

وهي الثنائية الأساسية التي تمثل محور التواتر للنص.

د- **محور الألوان.**

الألوان مؤشرات دالة على أبعاد دلالية، منها ما يحضر كملفوظ، وما توجد مؤشرات دالة عليه، ومنها ما يحمل دلالة الموافقة للمتعارف عليه في دلالة الألوان، ومنها ما يقود في سياق النص إلى حقل دلالي مخالف للمألوف. وقصيدة "السوس" لوحة زيتية في حقيقة الأمر، أحكم الشاعر نسج خيوط الألوان فيها بطريقة درامية، تتجاذبها ثنائية الأبيض والأسود، وهو ما يؤكد العلاقة الجدلية بين الأمل والألم ، الحياة والموت؛ الحياة بخضرتها وما تتطلبه من دماء تسري فيها، والموت بصورته الموحشة السوداء وهو ينخر في الحياة،

- اللون الأبيض: تحدده المؤشرات النصية: شاب، الجليد، كفن، وتبدأ القصيدة بملفوظ يحيل على اللون الأبيض (شاب)، وتنتهي بملفوظ آخر (كفن)، وهو الآخر يحيل على اللون الأبيض، في حركة دائرية تولد انسجام النص على مستوى المنظور المرئي، وتخلق انزياحا على مستوى المنظور النفسي، فاللون الأبيض رمز للطهارة والنقاوة والغبطة والفرح والسلام، وهو عند المتصوفة رمز للحكمة وعدم الانقياد لشهوات النفس ولذائذ الدنيا، ولكنه بالنظر إلى السياق الذي ورد فيه كعلامات نصية يدل على الحزن، ويصبح لونا مشيرا إلى ما يُقَرِّب من الموت (شاب)، وحاملا لمعنى الموت في الكفن.
- اللون الأسود: السوس، فالسوس أسود هكذا تبدو الأسنان والحبوب عندما ينخرها السوس، وغراب البين أسود، والأسود يدل على المجهول والخراب والحزن.

والأبيض والأسود على الرغم من تنافرهما اللوني بل تضادهما في العرف العام للألوان إلا أنهما في النص يقودان إلى حقل دلالي واحد وهو حقل الحزن المفضي إلى الموت.

- اللون الأخضر: خضير الروح، الروح يرمز لها بالأخضر دليل الخلود والخير والأمل. وبذلك ففي كل ظلماء موحشة السواد توجد بارقة أمل، وبذلك يتسلل في صراع الألوان اللون الأخضر رامزا للحيوية والتجدد، والحركة والخصب والنماء، والأمن والسلام والتفاؤل، إنه رمز الأمل في الحياة، وهو الأمل الذي ما يزال القلب حفيا به في ظل التوتر النصي الذي صنعته العلامات اللونية المتسللة إلى نسيجه البنائي.
- اللون الأحمر: القلب، الخلايا، لا حياة للجسم إلا بتدفق الدم الأحمر من القلب إلى الخلايا، والأحمر لون القوة والنشاط، والحب والتضحية والفداء، غير أنه يتحول في النص إلى عكس المنتظر، ويشير إلى الضد، فالخلايا أصابها الوهن، والقلب تخونه الروح، والبدن ينخر فيه السوس. ويمكن أن نحوصل ذلك في الجدول التالي:

اللون	الأبيض	الأسود	الأخضر	الأحمر
العلامات الدالة على اللون	الشيب الجليد الكفن	السوس	خضير الروح	القلب الخلايا

الدلالة الألوفة للعلامة	الحياة	الهلاك الخطر	الأمل في الحياة	الحياة
الدلالة المحينة للعلامة	الموت	الهلاك	الأمل في الحياة	الموت

4- محور المفارقات العلماتية.

أ- المفارقات التعبيرية.

يصنع المفارقات العبيرية جملة التراكيب التي تجمع ملفوظات ليس من المألوف أن تحدث بينها الإضافة فعبارة جليد الوقت، لها تشكيل تعبيري يولد حيرة لدى المتلقي، وبذلك فهي تمثل موضوعا ديناميا بتعبير ش.س. بورس، أي« **الأثر الفعلي الذي تحدده العلامة، أو الأثر الذي تولده العلامة بشكل فعلي في الذهن** »[26] ، لأنها تحتوي على موضوعين، الموضوع الأول هو الجليد الذي يكون المتلقي على دراية مسبقة بمجموعة من المعارف حوله؛ فهو ماء متجمد في حرارة معينة ، وكذا الوقت الذي يدل على الزمن في صورته المفردة قبل أن تحدث الإضافة بين الموضوعين، لتأتي عبارة "جليد الوقت" لتحث انزياحا تعبيريا ومعرفيا في الآن ذاته، فهو يخرق المعارف السابقة، ويفتح الآفاق على معرفة جديدة، وهذا الموضوع الجديد هو الذي يسعى المؤول إلى اكتشافه، وتصبح العلامة النصية علامة دينامية. وعليه فالمفارقة التعبيرية "جليد الوقت" تحيل على تجمد المعنى بالحياة لدى الشاب الذي غزاه الشيب ونخره السوس.

ب- المفارقات التصويرية

تنشأ المفارقات التصويرية على ما يوجد بين المكونات النصية من تعبيرات تصويرية على سبيل الاستعارة، وهي علامات ذات بعد أيقوني، من ذلك استعارة الشيب إلى العمر، والأصل أن يكون للرأس، وعبارة "وجليد الوقت أذن في الخلايا بالوهن " كلها متأسسة على جملة من الاستعارات، فالوقت في صورته الساكنة في حياة الفتى بل المتراجعة، ها هو يؤذن، ولكن الآذان عادة للخير وهو الآن يؤذن بالوهن. إنها المفارقات التصويرية التي تصنع شعرية النص.

3.2 مسارات التأويل.

1. المربع السيميائي.

يمكن أن نجمع ما ذهبنا إليه في مقاربتنا لأسرار العلامة وأبعاد التأويل في المربع السيميائي لـ"**غريماس**" والذي تظهر فيه جدل العلاقة بين ثنائية الشباب والشيخوخة كبينية سطحية، وثنائية الحياة والموت كبنية عميقة مهيمنة على كل المسارات التدليلية للنص.

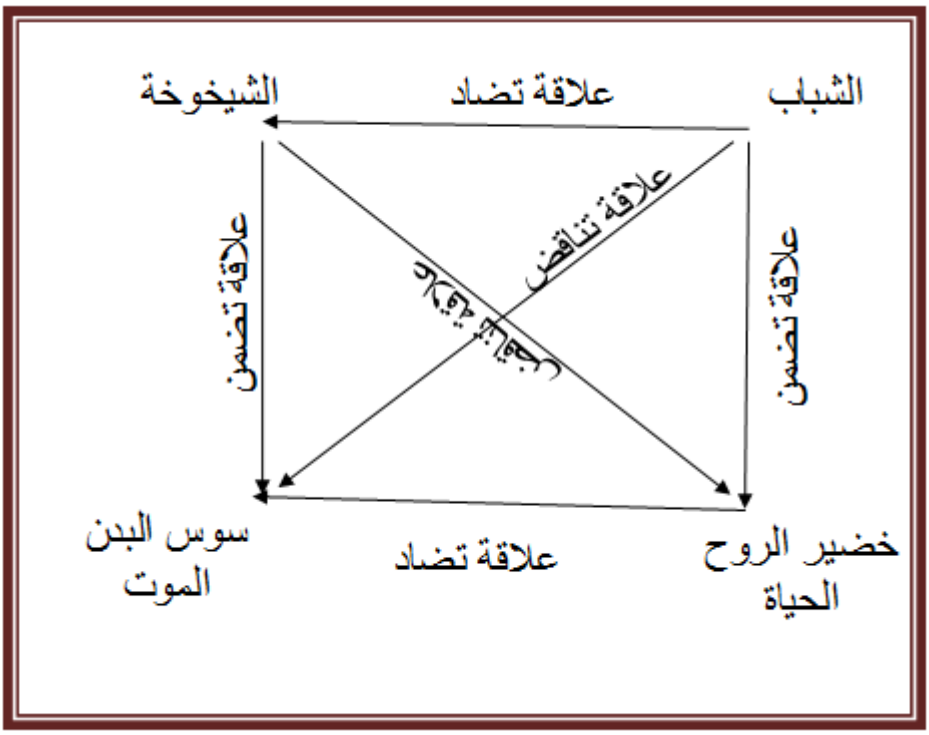

2. البنية العميقة

إن العلاقة الجدلية بين الحياة والموت الذي يحكم النص يجعلنا نعتبره وقفة تأملية للإنسان تجاه ذاته باعتباره فردا، أو باتجاه وجوده الاجتماعي، أو أمته باعتبار ذاته الجمعية. وعليه يمكن أن نمدد جسد النص على العنوان من خلال المسارات التدليلية التي تحرك في ظلها السيميوز علماتيا، وبذلك نجد التأويلات المحينة الآتية:

العلامة:	التأثيل:
السُّوس	قوى الزمن التي تنخر جسد الإنسان باعتباره فردا، أو جماعة، ولا يقوى على ال إيقافها أو التصدي لها.
	عوامل الضعف التي تسري في أوصال الفرد أو المجموعة عندما يفقد إرادة الحياة وإرادة القوة، فتضعف قواه ويصاب بالوهن، وتظهر آثار ذلك عليه.
	الصراع بين عوامل الضعف وقوى الحياة الأصيلة في النفس والفرد والجماعة.
	كل معول هدم في الكيان الفردي والجمعي.

4. الخاتمة:

يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

- السيمياء منهج نقدي له من الآليات المنهجية الكفيلة باستنطاق النص الشعري والبحث في أسرار العلامات المبثوثة فيه، وتأويلها بتحيين العلامات وفق مسارات السيميوز، وذلك ما يكسب التحليل قيمة علمية.

- بالنظر إلى الفتى الفرد، فإن الشيب ينغص عليه أحلامه وحياته ويحد من طموحه، خصوصا إذا صحب الضعفَ فعلُ السوس الذي ينخر القوى فيدب الضعف في الجسم ويبليه، بل يفنيه. ولكن مهما بدا على الجسم من ضعف ووهن فالأمل في الحياة يبقى قائما، إذا حملت الروح وعناصر التجدد والممانعة في الإنسان لواء المقاومة، وعندها سينتصر خضير الروح على سوس البدن.
- لكن الشاعر في تساؤل استنكاري ينتصر فيه للجسد والحياة، ويلقي باللائمة على الروح التي هي في خيانة للبدن لأنها تفارقه وهو في أمس الحاجة إليها، لأنها سر الحياة الحقيقي، إذ ساعة مفارقة الروح للجسد سيسجى في كفن بعد أن استسلم للموت.
- مثلما تفهم القصيدة بدلالة الفتى الفرد فإنها يمكن تأويلها بالإحالة المرجعية على الأمم والشعوب، والمدائن والحضارات، فالأمم التي ينخر أوصالها السوس الثقافي والسياسي والاقتصادي بالفساد والظلم والنفاق والطغيان، ستدركها الشيخوخة زمن الشباب، فتستسلم لفعل الزمن الرديء، وتتوقف دواليبها عن الإنتاج، وتظهر وكأن زمنها متوقف، وتصاب كل كياناتها بالوهن، ويبقى القلب؛ القوى الأصيلة في الأمة، حفية بكل اخضرار وتجدد، ومقاومة لفعل السوس الذي ينخر جسد الأمة، وإن لم يحدث ذلك فإن قوى السوس تذهب الكيانات وتودع الأمم الممات قبل الممات.

هوامش البحث:

[1] - سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط3، سورية: 2012، ص 26.

[2] - المرجع نفسه، ص29.

[3] - جيرار دولودال: السيميائيات أو أنظمة العلامات، ترجمة عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سورية : 2004، ص 07.(مقدمة المترجم).

[4] - المرجع نفسه، ص ص 95، 96.

[5] - جيرار دولودال و ج. ريطوري: التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، ترجمة عبد الرحمان بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب: 1994، ص01.

[6] - سعيد بنكراد: سيميائيات بورس، مجلة "علامات المغربية"، عدد 1، 1994، ص19،20.

[7] - أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب: 2004، ص 131.

[8] - سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص264.

[9] - A J Greimas, J Courtès, dictionnaire raisonné de la théorie du langage نقلا عن سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ص 264.

[10] - أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2005، ص 48.

[11] - المرجع نفسه، ص 49.

[12] - إيريك بويسنس:السيميولوجيا والتواصل، ترجمة وتقديم جواد بنيس، رؤية للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة ، مصر: 2017، ص35.

[13] - أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، ص 49.

[14] - سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 28.

[15] - المرجع نفسه، ص 29

[16] - المرجع نفسه، ص29

[17] - عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، من أجل تصور شامل، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر: 2010، ص 87.

[18] - المرجع نفسه، ص 87.

[19]- سعيد بنكراد: السيميائيات والتأويل، مدخل إلى سيميائيات شارل ساندبرس بورس،المركز الثقافي العربي، ط1،الدار البيضاء، المغرب: 2005، ص 192.

[20]- أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص11.

[21]-عبد العزيز الحاجي: صبابة مختصرة (شعر)، دار أمية للنشر، تونس، 1994، ص30.

[22]- روبرت شولز: السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان: 1994، ص83.

[23]- سعيد بنكراد:السيميائيات، النشأة والموضوع، عالم الفكر، عدد3، مجلد ، 35يناير- مارس- 2007، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص27.

[24]- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، ج 24، دار المعارف، مصر، ص2149.

[25]- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، ط4، الدار البيضاء، المغرب: 2005، ص21.

[26]- سعيد بنكراد: حوار مع محمد مفتاح بصدد بعض قضايا سيميائيات بورس، موقع http://saidbengrad.free.fr/ بتاريخ 2021/12/19.

5. قائمة المراجع:

- المؤلفات:

1. إيكو أمبرتو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب: 2004.
2. إيكو أمبرتو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2005.
3. بنكراد سعيد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط3، سورية: 2012.
4. بنكراد سعيد: السيميائيات والتأويل، مدخل إلى سيميائيات شارل ساندبرس بورس،المركز الثقافي العربي، ط1،الدار البيضاء، المغرب: 2005.
5. بويسنس إيريك: السيميولوجيا والتواصل، ترجمة وتقديم جواد بنيس، رؤية للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة ، مصر: 2017.
6. الحاجي عبد العزيز: صبابة مختصرة (شعر)، دار أمية للنشر، تونس، 1994.
7. دولودال جيرار و ج. ريطوري: التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، ترجمة عبد الرحمان بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب: 1994.
8. دولودال جيرار: السيميائيات أو أنظمة العلامات، ترجمة عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سورية : 2004.
9. شولز روبرت: السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان: 1994.
10. مفتاح محمد: تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، ط4، الدار البيضاء، المغرب: 2005.
11. المرابط عبد الواحد: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، من أجل تصور شامل، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر: 2010.
12. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، ج 24، دار المعارف، مصر.

- **المقالات:**

13. بنكراد سعيد: سيميائيات بورس، مجلة "علامات المغربية"، عدد 1، 1994.
14. بنكراد سعيد: السيميائيات، النشأة والموضوع، عالم الفكر، عدد3، مجلد ، 35 يناير- مارس- 2007، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- مواقع الانترنيت:

15. بنكراد سعيد: حوار مع محمد مفتاح بصدد بعض قضايا سيميائيات بورس، موقع http://saidbengrad.free.fr/ بتاريخ: 2021/12/19.